**المقياس: سيميولوجيا المستوى: السنة الثالثة – ل م د -**

**الدرس :**01

**السيميائيات: حول المصطلح و المفهوم**

**01/الجذر اللغوي للمصطلح:**

تؤكد معظم الدراسات اللغوية أن الأصل اللغوي لمصطلح " Sémiotique " يعود إلى العصر اليوناني، فهو آت من الأصل اليوناني"Séméion " الذي يعني " علامة" و " Logos" الذي يعني "خطاب"...وبامتداد أكبر كلمة " Logos" تعني العلم، فالسيميولوجيا هي "علم العلامات".

وفي هذا الصدد، يقول "فيصل الأحمر" صاحب كتاب " السيميائية الشعرية" : " يتكون مصطلح "سيميائية " حسب صيغته الأجنبية Sémiotique أو Sémiotics من الجذرين " Sémio" و " tique " إذ أن الجذر الأول الوارد في اللاتينية على صورتين Sémio و Sama يعني إشارة أو علامة... في حين أن الجذر الثاني -كما هو معروف- علم "، وهو بعد ذلك، يقول أنه بدمج الكلمتين" Sémio"و " tique " يصير معنى المصطلح : علم الإشارات أو علم العلامات.

كما نجد " رشيد بن مالك " يتعرض لمسألة الاختلاف الطفيف بين المصطلح الفرنسي " Sémiotique " و الإنجليزي

" Sémiotics"، ويقول أن كلا من المصطلحين متماثلين من حيث الأصل، وإنما التغاير بينهما يكمن في اللاحقة.

وإن كان المصطلحان الشائعان لعلم العلامات في البلاد الغربية هما: "Sémiologie" الفرنسي و "Sémiotics" الإنجليزي، فإننا لا نعدم تعددية دوالية أخرى لديه، حيث يشير "غريماس" إلى أهم المصطلحات المتقاربة لهذا المفهوم، والتي من أبرزها: Sémiologie، Sémiotique، Sémanalyse، Sémasiologie, Séméiologie . كما يشير أيضا إلى الفرق بين المصطلحين الشائعين، وذلك بأن جعل السيميوطيقا تحيل على الفروع؛ أي دراسة أنظمة العلامات المختلفة، مثل سيميوطيقا الصورة الثابتة، سيميوطيقا المسرح، سيميوطيقا الصورة الإشهارية،...الخ، أما السيميولوجيا فهي هيكل نظري لعلم العلامات بصفة عامة دون تخصيص لهذا النظام أو ذاك .

**02/التعريف المعجمي** :

تتعدد التعاريف لهذا المصطلح، غير أننا نختار منها ما ورد في معجم "روبير "، حيث عرفه كما يلي: " نظرية عامة للأدلة، وسيرها داخل الفكر...كما أنها نظرية للأدلة والمعنى، وسيرها في المجتمع... وفي علم النفس تظهر الوظيفة السيميائية في القدرة على استعمال الأدلة والرموز ".

إن الملاحظ لهذا التعريف المعجمي يجد أنه يقترب كثيرا من التعريف الاصطلاحي للسيميائيات، إن لم نقل يطابقه.

**03/المصطلح في الدراسات العربية :**

عرف هذا المصطلح أثناء محاولة نقله إلى العربية فوضى كبيرة ناتجة عن عدم فهم ووعي جيد للمصطلح، ويكون ذلك بسبب محاولة تطويعه ليتماشى وسلاسة اللغة العربية، كما قد يرجع ذلك إلى تعصب كبير من الباحثين للتراث، فيحاولون إيجاد مقابل له في تراثنا العربي، ومهما تكن الأسباب والدوافع فقد تعددت الدوال لهذا المصطلح الغربي الفضفاض، لهذا سنركز فقط على أهم التسميات لا غير، لأنها كثيرة جدا.

يختار " عبد السلام المسدي" في كتابه "الأسلوبية والأسلوب" مصطلح "علم العلامات"، ويقول في ذلك، وهو:" تعريب

سليم ولا اعتراض عليه، لولا أنني وجدت مشكلة في النسبة إليه، حيث استعصي علي مثلا أن أقول : تحليلا علاماتيا".

وهذا عبد الملك مرتاض يستحسن مصطلح " سيميائية " ، لأنه حسبه " آت من المادة (س و م ) التي تعني فيما تعني العلامة التي يعلم بها شيء ما أو حيوان ما ". وهذا المصطلح نفسه يستخدمه أيضا " رشيد بن مالك " من خلال مؤلفه

" السيميائية : أصولها وقواعدها "، وكذلك مؤلفه: "مقدمة في السيميائية السردية".

ولكن ما يلاحظه "الغذّامي" و "صلاح فضل" على مصطلح " السيميائية" هو ما يقوله الغذامي: " أجد في هذه الكلمة نفس ما يجده الدكتور (صلاح فضل) فيها، من خشية أن يفهم القارئ العربي من السيميائية شيئا يتصل بالفراسة، أو توسم الوجوه بالذات أو يربطها بالسيميا، وهي العلم الذي اقترن في مراتب المعارف العربية بالسحر والكيميا ".

هذا، ويترجم "الطيب بكوش" المصطلح إلى "الدلائلية"، غير أن الملاحظ عليه هو أنه لا يؤدي المعنى الكامل لمفهوم المصطلح، لأنه يقترب أكثر من " علم الدلالة "، وبالتالي قد يحدث خلط بين العلمين أيضا.

أما " نصر حامد أبو زيد " و "سيزا قاسم "، فيستخدمان مصطلح: " السيميوطيقا "، نستشف ذلك من خلال كتابيهما: " مدخل إلى السيميوطيقا "و " السيميوطيقا: حول بعض المفاهيم والأبعاد ".

وأما "صلاح فضل " فيفضل المصطلح الغربي دون ترجمة أو تعريب، حيث يقول: " ولكتنا نرى من الأفضل إطلاق الاسم الغربي، لأن النقل أولى من الاشتقاق في استحداث الأسماء الجديدة، إذا كان هذا الاشتقاق سيؤدي إلى الخلط "و يوافقه الغذامي في ذلك قائلا: " فإني أستخدم عن كره مصطلح (سيميولوجي) منتظرا مولد مصطلح عربي، يحل محلها، معطيا كل ما تتضمنه من دلالات ".

**04/السيميائيات الغربية القديمة:**

يعود تاريخ السيميائيات إلى ألفي سنة مضت – كما يقول إمبرتو إيكو- ، وهو يتكلم عن السيميائيات القديمة على النحو التالي:

**أ/ المرحلة الأولي:** إن الرواقيين هم من يمثل هذه المرحلة، وهم أول من قال بأن للعلامة وجهين: دال ومدلول، وارتكزت السيميائيات المعاصرة على اكتشافهم في انطلاقتها الأولى. وعندما أقول العلامة – يقول إيكو- فإني أقصد كل أنواع العلامات، وكل أنواع السيميائيات، أي ليس العلامة اللغوية فقط، وإنما أيضا العلامة المنتشرة في شتى مناحي الحياة الاجتماعية: فاللباس ونظام الأزياء أو الموضة السائدة في مجتمع ما، تشكل علامات وأنظمة علامات تختلف من مجتمع إلى آخر، وهؤلاء – حسب إيكو- اكتشفوا أن الاختلافات في أصوات اللغة وحروفها ينبغي أن لا يخدعنا فوراء هذه الاختلافات الشكلية الظاهرية بين اللغات البشرية توجد مرجعيات ومدلولات متماثلة تقريبا, وترجع هذه الاكتشافات إلى كون الرواقيين كانوا أصحاب تجربة تتمثل في ذلك الازدواج الثقافي والحضاري واللغوي, من خلال ثلاث لغات هي: الكنعانية، و الأمازيغية, و اليونانية.

**ب/ المرحلة الثانية:**  هي مرحلة القديس الجزائري " أوغسطين "(354-430)، فهو أول من طرح السؤال: ماذا يعني أن نفسر و نؤول؟ وهكذا راح يشكل نظرية التأويل النصي " تأويل النصوص المقدسة ". وتقول "فريال غزول" في كتابها "علم العلامات":" إن أهمية القديس أوغسطين، تكمن في تأكيده على إطار الاتصال والتواصل والتوصيل عند معالجته لموضوع

العلامـــة".

**جـ/ المرحلة الثالثة:** هي مرحلة العصور الوسطى، وكانت فترة التأمل بالعلامات واللغة، ويمكن ذكر اسم " أبيلار"، واسم "روجيه بيكون "

**دـ/ المرحلة الرابعة:** تشظت فيها نظرية العلامات و الإشارات مع المفكرين الألمان و الإنجليز في القرن السابع عشر، ويمكن ذكر اسم كتاب لـ "جون لوك " عام 1690م، بعنوان: " مقال حول الفهم البشري ".

**05/السيميائيات في التراث العربي القديم:**

ككل العلوم والمباحث المعرفية الأخرى، تؤكد جل الدراسات بأن العرب قد عرفوا ما يسمى اليوم بعلم السيميولوجيا، وإن كانت إشاراتهم مبعثرة ومتناثرة في أحضان علوم متنوعة كعلم النحو،وعلم البلاغة، وعلم التفسير،وعلم التصوف وغيرها.

وسنكتفي في هذا المقام بإيراد أهم هذه الإشارات، وذلك كما يلي:

**- تعريف السيمياء لغة**: ورد في "لسان العرب" أن : " السيمياء: العلامة: مشتقة من الفعل (سام) الذي هو مقلوب (وسم) ... وقيل الخيل المسومة، هي التي عليها السيمة، والسومة وهي العلامة ".

**- اصطلاحا**: لقد تعددت استعمالات مصطلح " سيمياء " كعلم عند العرب قديما، فهذا "ابن سينا" في مخطوطة له بعنوان: " كتاب الدر النظيم في أحوال علوم التعليم "، وفي فصل تحت عنوان: " علم السيميا" يقول: " علم السيميا علم يقصد فيه كيفية تمزيج القوى التي في جواهر العالم الأرضي ليحدث عنها قوة يصدر عنها فعل غريب، وهو أيضا أنواع ". ثم يأتي بعد ذلك على ذكر هذه الأنواع، ويقول أن بعضها متعلق بالحركات العجيبة التي يقوم بها الإنسان، وبعضها متعلق بفروع الهندسة، وبعضها الآخر متعلق بالشعوذة. وهذا " ابن خلدون " يقدم فصلا من مقدمته لعلم أسرار الحروف، وهو كما يقول: " المعروف بالسيميا نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من غلاة المتصوفة... في جنوحهم إلى كشف حجاب الحسن، وظهور الخوارق على أيديهم...". فابن خلدون من هذه الوجهة قد تحدث عن الجانب الغيبي والسحري لعلم السيمياء، ومما سبق ذكره، يظهر أن السيمياء كعلم عند بعض المفكرين العرب بعيدة كل البعد عن معناها الحالي.

وأما إذا حاولنا استقراء تراثنا العربي أكثر فأكثر فإننا سنقف حتما على تلك المجهودات القيمة التي بذلها دارسون آخرون من أمثال: الجاحظ، وعبد القاهر الجرجاني، والرازي، والغزالي ، وبخاصة في مجال العلامة، وعلاقة الدال بالمدلول.

إن هذه الآراء السيميولوجية التي حفلت بها الدراسات العربية القديمة لم تكن ممنهجة ، أو مؤسسة على أسس متينة، ولم تحاول يوما أن تؤسس نظرية متماسكة تؤطرها، أو تحدد موضوع دراستها أو اختيار الأدوات والمصطلحات الإجرائية الدقيقة التي تقوم عليها.

**المقياس: سيميولوجيا المستوى: السنة الثالثة – ل م د -**

**الدرس :**02

**سيميائيية شارل سندرس بيرس** (1839/1914)

كان بيرس فلكيا،كما كان منطقيا وفيلسوفا ذرائعيَ التوجه، وقد تحكمت طبيعة ثقافته في صياغة نظريته حول العلامة .

ولفهم سيميوطيقا بيرس الفهم السليمَ، لا مناص من ربطها –حسب دولودال- بفلسفته التي تتسم بكونها استمرارية وواقعية وذرائعية. **فهي استمرارية، لأنها تتعارض مع النزعة الواحدية والنزعة الثنـائية ؛إذ تأخذ على الواحدية جمودَها ويقينيتها (مبدأ الواحدية القائل بأن الحقيقة كل عضوي واحد، وأن الإنسان إما عقل وإما مادة) ، وتذهــب –خلافا للثنائية ( مبدأ الثنائية يرى بأن الكون قائم على مبدأين متعارضين كالخير والشر، وأن الإنسان جسد وروح)- إلى أن الفكر ليس مَلَكة عارفة خارج الشيء المراد معرفتُه، وإنما هو سيرورة في الأشياء واستمرارية خلاقة معها. وهي فلسفة واقعية في معارضتها للنزعة الاسمية التي تذهب إلى أن الوقائع التي ينبغي الاهتمام بها هي تلك الكامنة وراء الإدراك، وأكد بيرس – في المقابل- أهمية الواقع الذي من شأنه أن يزودنا بمعرفة حقيقية. ومن هنا الطابع الاجتماعي والجدَلي لفلسفة بيرس. وهي أخيرا فلسفة ذرائعية (لأن بيرس اتخذ الغاية والمنفعة والعادة والمجتمع منطلقات لخلق الرموز والقوانين)**.

كما أنها تقوم على المنطق والظاهِراتية والرياضيات. **والمنطقُ –بمعناه الدقيق- هو علم الشروط الضرورية المُوصِلة إلى الصدق، أما بمعناه العام فهو علم القوانين الضرورية للفكر؛ وبأسلوب آخر، هو علم الفكر الذي تجسده العلامات. إنه "السيميوطيقا العامة" كما يقول بيرس. والمنطق البيرسي هو منطق العلاقات الذي يعد الأساسَ والضامن للتصور الثلاثي للمَقُولات والعلامات. أما الظاهراتية، فهي كون الشياء حاضرة في الذهن سواء كانت مناسبة لشيء واقعي أو غير واقعي، إذ تعتمد على الأشياء كما هي .**

**كما تتأسس على فرضية مسماة "بالبروتوكول الرياضي" (فلسفة "دوبو ول" الرياضية القائمة على ضرورة وجود علاقة بين أطراف ثلاثة) والتي تكون العلامة وَفْقَها ثلاثية. وقد سبق لبيرس أن بَرْهن على الطابع الضروري للثلاثي، ذلك بأنه لا يمكننا أن نفكر في العدد** (1) **دون أن نتصور في الوقت نفسه حده، ولْنُسَمِّه** (2)**. لكن تصور**(1) **و**(2) **بوصفهما كيانين منعزلين يستلزم ثالثا من طبيعة أخرى. يقول بيرس:"يستحيل تكوين ثالث أصيل بتغيير الزوج ودون إدخال أي عنصر تختلف طبيعته عن طبيعة الواحد أو الزوج "، وهذا العنصر هو العنصر الثالث. فالثلاثية –إذاً- ضرورية وكافية في آن واحد؛ ضرورية منطقيا، وكافية تداوليا. ضرورية لبناء علاقات متناهية بيد أنها كافية؛ بمعنى أنها تسد حاجات الاقتصاد بواسطة الاختزال الممكن لأي عدد يتجاوز** 3 **إلى توليفات من** 3**.**

ويرى بيرس أن العلامات –كيفما كانت طبيعتها- يجب أن تعالَج في إطارها المنطقي. ويذهب إلى أن أي تحليل لابد أن يتم عن طريق العلامات؛ لأنها –من جهة- تمكننا من التفكير والتواصل مع الآخرين، ومن جهة أخرى تمكننا من إعطاء معنىً لما يقترحه علينا الكون. والعلامات– في نظر بيرس- متساوية من حيث الأهميةُ، لذا عُنِيَ باللسانية منها وبغير اللسانية.  
 لقد اعتبر بيرس السيميائيات منطقا، وربطها بعمليات الإدراك التي تدفع بالإنسان إلى التحليق في عالم خارجي مليء بالمفاجآت، وألحق جميع أفعاله إلى إحدى المقولات التالية:

**المقولة الأولانية**: وتشير إلى إمكانية الفعل فقط، أي إلى حالة شعورية محتملة التحقق، فالإنسان السعيد كانت سعادته حالة شعورية محتملة قبل حدوثها.

**المقولة الثانيانية:** وتشير إلى تحقق الفعل، أي ترجمة الأحاسيس إلى واقع ملموس.

**المقولة الثالثانية**: وتتمثل في القوانين التي يستند إليها في التعرف على الوقائع، وتجعلنا نؤول سلوكا ما، باعتباره دالا على السعادة، لا على التعاسة.

إن هذه المقولات الثلاث، تشير إلى صيرورة إدراكية غير مرئية، صاغها بيرس على النحو التالي:" أول يحيل إلى ثاني عبر ثالث "، أي أن الأحاسيس تتجسد في واقع عبر قانون، أو قاعدة تسمح بذلك. ولقد انبثق عن هذه المقولات ثلاثيات العلامة: الممثل والموضوع والمؤول، وكل واحد منها يتضمن ثلاثَ علاماتٍ. وفيما يأتي بيانُ ذلك:

**أ- الممثل** : وهو بعد منظور إليه في علاقته مع ذاته. والممثل –باعتباره علامة رئيسة- يتفرع إلى ثلاث علامات فرعية تبعا لعلاقته بالمقولات الثلاث (الأولية / والثانوية / والثالثية) وذلك على النحو التالي:

**\* العلامة النوعية:** وهي نوعية تشكل العلامة. ولا يمكن أن تشتغل إلا وهي متجسدة –ماديا- في العلامة الفردية. ومثالها اللون الدال على شيء ما.

**\* العلامة الفردية:** ويعرفها بيرس بأنها "شيء أو حدث موجود وواقعي في شكل علامة"، كما أنها "موضوع أو حدث فردي". ويمكن أن نمثل لهذه العلامة بالنصْب التَذكاري أو بعَرَض داء معين.

**\* العلامة العُرْفية:** هي قانون أو قاعدة أو مبدأ عام في شكل علامة. وتعد أنساق الكتابة الخاضعة لقواعد الصرف والنحو علامات عرفية.

**-ب- الموضوع:** ويتعلق الأمر هنا بالعلامة منظورا إليها في علاقتها بموضوعها الذي تحيل إليه. ويتكون هذا البعد من ثلاث علامات فرعية كالآتي:

**\* الأيقونة:** وهي تشبه الموضوع الذي تمثله. يقول حنون مبارك: "إن الأيقونة صورة تَستنسخ نموذجا". والصورة الفوتوغرافية مثالٌ لهذا النوع من العلامات.

**\* المؤشر:** وهي تنسج علاقة مباشرة أو ملاصِقة مع موضوعها. ومثالها الدخان الذي هو أَمَارة على وجود النار.  
**\* الرمـــز:** وهو يحيل إلى موضوعه بفضل قانون أو أفكار عامة مشتركة. وتعد كل علامة تعاقُدية (أو اصطلاحية) رمزا.

ومثال ذلك: غصن الزيتون، والحمامة البيضاء اللذان يعتبران رمزا للسلام.

والرمز– باعتباره علامة فرعية ثالثة لبعد الموضوع- نوعان؛ أحدهما **مجرد**، وهو "شكل منحلّ عن الرمز الذي ليس لموضوعه إلا طابع عام". والآخر **متميز**، وهو "شكل آخر منحل عن الرمز الذي يكون موضوعه فردا موجودا، بحيث لا يعني هذا الموضوع إلا الطبائع التي يملكها هذا الفرد.

-**جـ- المــــــؤول:** ويخص الأمر هنا العلامة منظورا إليها في علاقتها بالمؤول. ويتفرع هذا البعد إلى مؤول أول ومؤول ثان ومؤول ثالث تبعا لنوعية العلاقة التي يعقدها مع المقولات الثلاث، وذلك كما يأتي:

**\* الفِدْليــل**: ويترجمه حنون مبارك "بالخبر"، والسرغيني "بالمسنَد إليه"، ويستعمل آخرون مصطلح "سمة" مقابلا للفظ الأجنبي (Rhème)، ويقتصر بعض الباحثين على ترجمة هذا المصطلح ترجمة حرفية "رِيم".. ويقصد بالفدليل في السيميوطيقا البيرسية علامة الإمكانية الكيفية؛ أي إنه مُدْرَك باعتباره يمثل هذا النوع أو ذاك من الموضوع الممكن.

**\* العلامة الإخبارية:** وهي تخبر وتعطي معلومة تتعلق بموضوع العلامة. ويعرفها دولودال بأنها "العلامة التي تكون بالنسبة لمؤولها علامة وجود واقعي:إنها تقدم إعلاما يتعلق بموضوعه".ويمكن أن نمثل لهذه العلامة بالجملة البيانية.  
**\* البرهان:** وهو علامة تشكل بالنسبة إلى مؤولها علامة قانون. ولو لم يكن للاستدلال بعد سيكولوجي لسماه بيرس به. ولأن البرهان " ثالثي بسبب مبدإ "تراتبية المقولات"، فإنه التعبير المختَصَر للعلامة التامة: أي العلامة العرفية الرمزية البرهانية"  
ويمكن أن نلخص الأبعاد الثلاثة المذكورة، وتفريعاتها المترتبة عن علاقتها بالمقولات الثلاث في الجدول أسفله :

|  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- |
|  | الأولانية | الثانيانية | الثالثانية |
| الممثل | العلامة النوعية | العلامة الفردية | العلامة العرفية |
| الموضوع | الأيقونة | المؤشر | الرمز |
| المؤول | الفدليل | العلامة الإخبارية | البرهان |

مما سبق، يتبدى لنا أن العلامة في سيميوطيقا بيرس علاقة ثلاثية بين ثلاثة عناصر أو علامات رئيسة (الممثل-الموضوع-المؤول)؛ ولا يمكن أن تقوم العلامة إلا بوجود هذه العناصر الثلاثة مجتمعة. وهذا ما أسْماه بيرس "السيميوزيس " وكل علامة من العلامات الثلاث المتقدمة ثلاثية الطابع. معنى هذا أن ثمة تسعَ علامات فرعية (انظر الجدول السابق). ومن الناحية النظرية، نحصل على 33؛ أي على 27 صنفا من العلامات الممكنة. إلا أن بيرس اختصرها في عشرة أصناف، هي: العلامة النوعية الأيقونية الفدليلية (الشعور بالاحمرار مثلا)، والعلامة الفردية الأيقونية الفدليلية (رسم بياني معطى مثلا)، والعلامة الفردية المؤشرية الفدليلية (الصراخ التلقائي مثلا)، والعلامة الفردية المؤشرية الإخبارية (دوارة الهواء مثلا)، والعلامة العرفية الأيقونية الفدليلية (رسم بياني عام مثلا)، والعلامة العرفية المؤشرية الفدليلية (اسم الإشارة مثلا)، والعلامة العرفية المؤشرية الإخبارية (صراخ في الزقاق مثلا)، والعلامة العرفية الرمزية الفدليلية (اسم عام مشترك مثلا)، والعلامة العرفية الرمزية الإخبارية (التحليل القياسي مثلا)، والعلامة العرفية الرمزية البرهانية (العلاقة التضمينية مثلا). ويترتب عن ربط العلامات بعضها ببعض 66 نوعاً من العلامات السيميائية... ولكن الملاحَظ أن الاهتمام الأكبر قد انصب على الثلاثية الثانية المشكلة للبعد الدلالي؛ أي على العلامات الفرعية التالية : الأيقونة والقرينة والرمز.

خلاصة القول إن سيميوطيقا بيرس "ليست مجرد أدوات إجرائية يمكن استثمارها في قراءة ظواهر معينة، لكنها بالإضافة إلى ذلك تصور متكامل للكون، الذي هو سلسلة لا متناهية من الأنساق السيميائية. إذ يستحيل فصل العلامة عن الواقع، لأن هذا الأخير عبارة عن سلسلة من العلامات التي لا تنفك تحيل على علامات جديدة تدرج ضمن سلسلة أخرى من الإحالات. وهكذا دواليك.

**المقياس: سيميولوجيا المستوى: السنة الثالثة – ل م د -**

**الدرس :**03

**سيميائيية فردينان دي سوسير (**1871/1913**)**

يتفق جل الباحثين على أن المشروع السيميائي المعاصر بشر به دي سوسير في فرنسا في كتابه" محاضرات في اللسانيات العامة"، وذلك حينما اخبر في معرض تعريفه للسان بأنه سيظهر علم جديد سماه بالسيميولوجيا(Sémiologie) ، يقول:

" إن اللسان نسق من العلامات المعبرة عن أفكار، وهو بذلك شبيه بأبجدية الصم البكم، وبالطقوس الرمزية، وبأشكال الآداب، والإشارات العسكرية، إلا أنه يعد أرقى هذه الأنساق، ومن هنا تأتي إمكانية البحث عن علم يقوم بدراسة هذه العلامات داخل الحياة الاجتماعية، ويمكن أن نطلق على هذا العلم السيميولوجيا، وستكون مهمته، هي التعرف على كنه هذه العلامات وعلى القوانين التي تحكمها. وبما أن هذا العلم لم يوجد بعد، فإننا لا نستطيع التنبؤ بالشكل الذي سيتخذه، إننا نسجل فقط حقه في الوجود، ولن تكون اللسانيات سوى جزء من هذا العلم، وستنطبق قوانينه التي سيتم الكشف عنها على اللسانيات ".

نستشف من هذا القول، بأن دي سوسير يبشر بعلم جديد، يطلق عليه"السيميولوجيا"، سيتولى دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، ويمكن من تحليل أنساق ليست بالضرورة من طبيعة لسانية. وبالتالي سيتسم بالشمولية، ولن تكون اللسانيات إلا فرعا من فروعه.

لقد ركز سوسير على اللسان، وأعده أرقى شكل داخل العلامات على الإطلاق، وأنه الأداة الوحيدة لفهما وتأويلها، ومعرفة طرق اشتغالها، لذا وضعه في أعلى هرم التواصل، وكشف عن قوانينه، واعتبرها نفسها التي تقود إلى معرفة قوانين الأنساق الأخرى، وذكر من هذه الأنساق، الإشارات العسكرية، أبجدية الصم البكم وأشكال الآداب،...

لقد اعتبر دي سوسير اللسان تعاقدا اجتماعيا، وهذا ما جعله يشبه العلامة اللسانية بالقطعة النقدية، التي تسمح لنا ، من جهة، باقتناء بضائع ما، ومن جهة أخرى، بتحديد قيمتها داخل النظام النقدي الذي تنتمي إليه.

**مفهوم العلامة عند دي سوسير:**

في سياق حديث سوسير عن اللسان، اعتبر العلامات أداة رئيسة في تحديد جوهره، وموقعه من الفعل الفردي والجماعي،

والعلامة -أو الدليل- وحدة دلالية، تتشكل من علاقة افتراضية تقابلية بين مظهر تعبيري يسمى الدال، وتصور مفهومي(صورة ذهنية) يسمى المدلول، أثناء فعل الكلام، أو أي فعل تواصلي. " ويؤكد سوسير أن العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة اعتباطية، غير قائمة على منطق عقلي، وأن اختيار الأصوات لا تفرضه مقتنيات المعنى، وإنما يفرضه العرف، وثقافة المجتمع، ففكرة "ليث" لا تربطها أي علاقة داخلية، مع المتوالية الصوتية /ل،ي،ث/ التي تعتبر دالا لها، فبالإمكان التمثيل لها بأية متوالية صوتية أخرى ".

**بالإضافة إلى العلامة الاعتباطية، تحدث سوسير عن العلامة الرمزية/العرفية المتسمة بخاصيات معينة.يقول: "ومن خاصية الرمز ألا يكون أبدا اعتباطيا في سائر وجوهه؛ فهو ليس خاليا ولا فارغا من كل محتوى مادي. إذ لا تزال فيه بقيةٌ من علاقة طبيعية بين داله ومدلوله. فالرمز الذي يشير إلى العدالة... لا يمكن أن نستبدله بأي رمز آخر كالعربة مثلا".**

**ومهما كان الأمر، فقد أسهم سوسير –بشكل كبير- في إرساء أسس السيميائيات الحديثة، ورسم صُورها البارزة. وكان لأفكاره واجتهاداته أثر كبيرٌ فيمن تلاه من السيميولوجيين واللسانيين.**

**المقياس: سيميولوجيا المستوى: السنة الثالثة – ل م د -**

**الدرس :**04

01**/سيميائيية رولان بارت(**1915/1980)

يعزى لرولان بارت اتجاه "سيميولوجيا الدلالة" وهو تيار جديد يبحث في دلالات الأشياء(وسائل التواصل الحيواني، التواصل الجماهيري، دلائلية السرد، دلائلية الأزياء، دلائلية المحادثة، دلائلية النص الشعري،...) حيث أوضح فيه أن جانبا هاما من البحث السيميولوجي المعاصر مرده – بدون انقطاع- إلى مسألة الدلالة.

تؤكد التجربة أن –بالإمكان – إنتاج الدلالة وتحقيق فعل التواصل بواسطة الأنساق السيميولوجية اللغوية وغير اللغوية. ولعل هذا ما حذا ببارت إلى أن يسند مهمة التواصل إلى أنساق الأشياء وإلى اللغة على حد سواء. كما يرى بأن اللغة هي مؤول كل الأنساق أيا كان نوعها،وعلى هذا قلب المعادلة السوسيرية الشهيرة فيما يخص طبيعة علاقة السيميولوجيا باللسانيات والرامية إلى أن"اللغة ليست إلا جزءا من علم العلامات العام"داعيا إلى أن"علم العلامة فرع من علم اللغة العام".

وإذا كان سوسير يستخدم مصطلحات "العلامة" و" الدال" و" المدلول"، فإن بارت قد استعمل مكانها مصطلحات "الدلالة" و" التعبير" و " المحتوى" .

يرسم بارت ملامح سيميولوجيا جديدة بقوله " لقد كان موضوع هذه السيميولوجيا هو اللسان، وقد عملت فيه السلطة عملها، أما الملامح الجديدة فتتمثل في العودة إلى النص"، "...فالنص يحمل في طياته قوة الانفلات اللانهائي من الكلام الاتباعي،...فالعودة إلى النص دائما ترغم السيميولوجيا على الاشتغال بالاختلاف، فتحول بينها وبين السقوط في الوثوقية والتحجر". وإن المتمعن في المساحة السيميولوجية لدى بارت يلحظ بوضوح جملة من النقاط الرئيسة التي تتمحور حولها النظرية النصية البارتية، ويمكن حصر هذه الملامح في بعض النقاط منها: **الدليل (**يتحدث عن الدليل من خلال موازنته بين الأثر والنص الأدبي، فالأثر ينحصر في مدلول جلي، وهو موضوع الفيلولوجيا أو خفي وهو موضوع التأويل. أما النص فمجاله الدال، والنص بهذه الكيفية لا يشير إلى دلالات، بل يبني التباسات، وهذا كله راجع إلى القدرة الرمزية التي يحتويها)، و **تعدد المعنى** ( يقيم بارت موازنة يسيرة بين الأثر والنص فيما يخص تعدد المعنى، حيث يرى أن: " الأثر أحادي أما النص فتعددي... "، إن هذا الأخير يخلق التعددية على مستوى الفكر (والتصور) هذا التعدد ناتج عن بنية النص، والنص بهذا التصور يحتوى عودة المعنى كاختلاف وليس كتطابق، ولا يمكن إخضاعه إلى تفسير أو تأويل، لأنه ينفر من أحادية المعنى ويطالب بتفجير المعاني فيتحول بموجب هذا التفجير إلى مجرة من المدلولات)، و**موت المؤلف** (لم يعد المؤلف عند بارت يتمتع بالسلطة أو السيادة التي كان يتمتع بها في النقد التقليدي، بل حل محله القارئ، وسيادة المؤلف تنتهي بمجرد الانتهاء من الكتابة، وهذا ما عناه بارت بالكتابة في الدرجة الصفر، والسر من وراء هذا هو الاعتقاد بتفجير الدلالة في لحظة انقطاع النص عن الصورة الحياتية لمؤلفه، يقول بارت في هذا الصدد: " إن نسبة النص إلى المؤلف معناها إيقاف النص وحصره، وإعطائه مدلولا نهائيا، إنها إغلاق الكتابة...").

02/ **سيميائيية جوليا كريستيفا(مواليد:**1941**)**:

- إذا كانت السيميائية البارتية تمثل ردة الفعل، بل قلبا لبعض أطروحات سوسير، فإن السيميائية الكريستيفية تمثل هي الأخرى ردة فعل على سيميولوجية التواصل التي يخدمها جانب وحيد هو اللسانيات. وهو الأمر الذي مهد السبيل لكريستيفا في إمكانية إلحاق السيميولوجيا بالعلوم الأخرى ودمجها فيها، ومن هذه العلوم: الرياضيات، والفيزياء، والمنطق.

وأما عن الخطوط الرئيسة لسيميائية كريستيفا، فمن خلال مقالتها " السيميوطيقا كعلم نقدي و/أو كنقد للعلم" يمكن الوقوف على ما يلي:

**أ/ضد حصر السيميولوجيا في دراسة أنساق التواصل:** حينما يقول دي سوسير: " إن اللسانيات يمكنها أن تصبح النموذج العام لكل سيميولوجيا رغم أن اللسان ليس إلا نسقا خاصا"، فإن كريستيفا تتجاهل الجزء الأول من هذه الجملة، وتتشبث بالجزء الثاني منها، فترى فيه القول بوجود "...إمكانية بالنسبة للسيميوطيقا، لكي تستطيع التخلص من قوانين دلالة الخطابات باعتبارها أنساقا للتواصل، وتفكر في ميادين أخرى للتدليل...". وهي هنا لم تأت بشيء جديد، فهي تفق مع بارت، وسندرس بيرس اللذين عملا على توسيع الفضاء الذي تشغله السيميائية.

**ب/ موضوع السيميوطيقا**: التدليل، و مفهومه لم يتحدد أبدا بطريقة دقيقة عند كريستيفا من خلال معارضته بمفهومي الدليل والتواصل، كذلك لارتباطه مع مفاهيم: الإنتاج، التوليد، الذات، النص، وغيرها. تقول:" سيكون التدليل إذن، هو هذا التوليد الذي يمكننا أن ندركه بشكل مزدوج:

* توليد نسيج اللغة.
* توليد هذا الأنا الذي يجعل نفسه في موقع تقديم التدليل..."

إن التدليل يجعل من النص فضاء متعدد الدلالة ، أي نصا مفتوحا ذا دلالة لا نهائية.

**ج/ السيميائية والأدب:** عند كريستيفا أنه بالنسبة للسيميائية لا وجود للأدب، إنه لا يوجد باعتباره كلاما كباقي الكلام... إنه ممارسة سيميائية خاصة تتميز عن باقي الممارسات، بكونها تجعل إنتاج المعنى قابلا في إشكاليته للاحتواء والإمساك ...فالنص اقتصاد درامي لا يمثله المكان الهندسي (إنه لعبة).

إن نظرة ل كريستيفا للنص تتحد بمفاهيم دقيقة،من حيث:

* إن علاقة النص باللغة التي تتموضع فيه هي علاقة إعادة توزيع(هدم/بناء).
* إن النص هو بناء النصوص، في فضاء نصي تلتقي فيه مجموعة من الملفوظات المأخوذة من نصوص أخرى، ويبطل أحدها مفعول الآخر.

03**/سيميائية ألجيرداس غريماس (**1917/1992)**:**

رائد السيميائيات السردية، أسس في بداية ستينيات القرن العشرين مدرسة باريس السيميائية، ركز على التحليل النصي، واهتم كثيرا بالأشكال الداخلية لدلالات النصوص خاصة وأن هذه الأخيرة عبارة عن كيانات دلالية قائمة بذاتها لا تحتاج إلى معلومات خارجة عنها، لذلك رأى أن الدراسة التحليلية الدقيقة للنص إنما تتم من خلال مستويين، المستوى السطحي والمستوى العميق الذي نحدد من خلاله البنيات العميقة، كما يرى أن المعنى يقوم على أساس اختلافي، وبالتالي فتحديده لا يتم إلا بمقابلته بضده وفق علاقة ثنائية متقابلة، وقد صاغ غريماس أفكاره هذه من خلال ما أسماه بالمربع السيميائي.

**المربع السيميائي:**

يعرفه عبد الحميد بورايو قائلا: " صياغة منطقية قائمة على نمذجة العلاقات الأولية للدلالة القاعدية التي تتلخص في مقولات، التناقض والتقابل، والتلازم، فهو نموذج توليدي ينظم الدلالة، ويكشف عن آلياته إنتاجها عبر ما يسمى بالتركيب الأساسي للمعنى، فهو أداة منهجية تسمح برصد إنبثاق المعنى منذ حالاته الأولية...".

فالمربع السيميائي بهذا المعنى هو المتحكم في البنية العميقة حين يحدد علاقات التضاد والتناقض المولدة للصراع الدينامي الموجود على سطح النص السردي .

كما أنه يساعد على تمثيل العلاقات التي تقوم بين الوحدات اللغوية بهدف إنتاج الدلالات التي يعرضها النص على القراء. يمكن التمثيل للمربع السيميائي بالشكل التالي:

وانطلاقا من هذا الشكل يمكننا أن نستنتج العلاقات التي يقوم

عليها المربع السيميائي كالآتي:

\***العلاقة التدرجية الشمولية**:(علاقة تضمن) تنطلق من العنصر إلى

المقولة التي تحتويه (س1 و لاس2 – س2 و لاس1)

\***علاقة التناقض**: بين س1 ولاس1 ، س2 و لاس2، والملاحظ أنه لا وجود لعنصر ثالث في هذه العلاقة، مما يوضح أنه لا بد من اختيار عنصر من هذين العنصرين، وهو ما يشبه عملية النفي؛ حيث إن نفي س1 يؤكد لاس1.

\***علاقة التضاد**: وتقوم بين س1و س2 ، حيث لا يمكن أن يتطور س2 إلا بكونه ضدا لـ س1، والعكس صحيح.

\***علاقة ما تحت التضاد**: وتوجد بين لا س1 و لاس2، وهي مماثلة جدا لعلاقة التضاد السابقة.

يتتبع أحد الدارسين مسار حكايات الأطفال، وانتهى إلى أن الذين يقومون بدور البطولة يمتازون بصفات واحدة، ويؤدون أدوارا متشابهة على نحو بدت فيه تلك الحكايات كأنها اجترار للمواقف، وتكرار للأحداث و السلوكات، ذلك أن معظم تلك الحكايات لها نفس البدايات (طفل يتيم ذكي فقير)، ونفس النهايات (يتغلب الطفل على خصمه ويصبح بذلك غنيا)، ويمكن تمثيل هذه العلاقة على الشكل التالي:

**المقياس: سيميولوجيا الدرس :05 المستوى: السنة الثالثة – ل م د -**

**01/التمفصل في السيميولوجيا:**

النظرية التمفصلية تنظر إلى أي خطاب مهما كان نوعه أو جنسه على أنه نص يقبل التشكيل في تمفصلين كبيرين، أصطلح على الأول بالتمفصل الأول "Première articulation"، واصطلح على الثاني بالتمفصل الثاني"Deuxième articulation"

يدرك بالتحديد اللساني في التشكل الأول الوحدات الدالة، وهي وحدات صوتية تقبل التجزؤ إلى أقل منها. ويدرك في التشكل الثاني الوحدات الصوتية المميزة، وائتلافها يعطي التمفصل الثاني "Double articulation".‏

نعتمد في السيميولوجيا على هذه الأفكار كلها، حيث نسعى إلى استثمار المفيد منها في تحليل النص السردي بالتركيز على تمفصلاته النصية، وأوجهها السيميائية ذات الطابع الأدبي، وذلك بالوقوف على الوحدات السيميائية، أي: العلامات الدالة التي استُمدّت في بناء النظام السردي وكانت مشحونة بشحنات دلالية.‏

ولهذا من الممكن التعامل مع الإشارات والرموز في النص السردي بتقسيمه إلى عدة تمفصلات، وتعد هذه بمثابة حقول دلالية، ولكل تمفصل وحداته السيميائية "Unitès Sèmiotiques" التي تجسده.

**02/ التأليف والاختيار(التركيب والاستبدال):**

ميز دي سوسير بين نوعين من العلاقات القائمة بين العلامات في اللغة، وهما محورا العلاقات التركيبية و العلاقات الاستبدالية، " أما العلاقات الاستبدالية فهي تلك العلاقات التي تحقق وظيفتها ضمن إدراك الترابط الذهني الحاصل بين العلامة اللغوية والعلامات التي يمكن أن تحل محلها مما يمكن أن تصل معه – خارج الخطاب- بشيء مشترك ". فالمحور الاستبدالي إذن هو محور المقابلات أو البدائل المتوافرة في الذاكرة والتي يمكن أن تحل محل الوحدة اللسانية.

و "أما العلاقات التركيبية فهي تلك العلاقات التي ينظر دي سوسير إليها من حيث هي مبنية على صفة الخطية، تلك الصفة التي لا تقبل إمكانية لفظ عنصرين في آن واحد، وهذان العنصران إنما يقع الواحد منهما إلى جانب الآخر ضمن السلسلة الكلامية ".

في اللغة، وبوجه عام، لا نتحدث عن علامات منعزلة، بل عن مجموعات من العلامات وكتل منتظمة تؤلف بدورها علامات. وهو ما يقود إلى ارتباط الاعتباط بمظهرين متباينين؛ فهو يأخذ وضع "اعتباط تعييني" عبر الاختيارات التي يطرحها النسق على ذهن الفاعل المتكلم( الحقل الترابطي للعلامات)، ووضع "اعتباط رصفي" يعطي للفاعل المتكلم حرية رصف العلامات ضمن تسلسل خطي لجملة من الوحدات الدالة.

لا يحتكر اللسان وحده آلية التركيب والترابط، بل تمتد هذه الآلية إلى أنساق سيميائية أخرى، حيث يفترض رولان

بارت ضمن مجال التحري عن آلية اشتغالها ضرورة إخضاع تمظهراتها للتقطيع التركيبي الذي يستطيع أن يمدنا بالوحدات المؤلفة لمحور الاستبدال، فاللباس بوصفه نسقا سيميائيا، لا يتمظهر إلا في صورة أزياء أو بدلات تتجاور ضمنها جملة من القطع الملبسية المختلفة، مثلا:قبعة+قميص+ معطف+سروال (علاقة تركيبية)، حيث يرتبط كل اختيار من الاختيارات بمجموع القطع الملبسية التي تتناسب معه في موضع اللبس وفي الوظيفة، مثلا: قبعة| طاقية| عمامة ...(علاقة استبدالية)، وينطبق الأمر نفسه على الوجبات الغذائية، كما ينطبق على فن التاثيث،...

**المقياس: سيميولوجيا الدرس :06 المستوى: السنة الثالثة – ل م د -**

**اتجاهات السيميائيات**

أدى تطور السيميائيات وتعدد منابعها إلى ظهور عدد من التيارات أو الاتجاهات السيميائية. ويقصد"بالاتجاه"– في المستوى الاصطلاحي- أن ثمة تنظيما أو جماعة بشرية مكونة من أفراد تجمع بينهم أمور وخصائص معينة. وقد تحدث غيرُ واحد من الدارسين عن اتجاهات السيميولوجيا. ومن الواضح أن هؤلاء قد اختلفوا في تحديد هذه الاتجاهات، وذلك تبعا لاختلاف المرتكَزات المعرفية والخلفيات النظرية التي ينطلقون منها.

بعض العلماء يرى أن هناك اتجاهين رئيسين هما :

- الاتجاه الأمريكي ورائده بيرس .

- الاتجاه الفرنسي ورائده دي سوسير ومن سار على دربه مثل بويسنس و بريتو و مونان ورولان بارت

وهناك اتجاهات فرعية يمثلها غريماس وجوليا كريستيفا ويعرف أحيانا بمدرسة باريس ومن أهم أعضائها جوزيف كورتيس. ويرى آخرون أن الاتجاه الروسي اتجاه رئيس ثالث ،وأن المدرسة الفرنسية يجب أن تقسم إلى فروع كالآتي :

- سيميولوجيا التواصل والإبلاغ كما عند جورج مونان

- سيميولوجيا الدلالة ولها عدة أشكال :اتجاه بارت الذي يحاول تطبيق اللغة على الأنساق غير اللغوية .واتجاه باريس ومن رموزه ميشيل أريفي و غريماس. واتجاه المادية عند جوليا كريستيفا .واتجاه الأشكال الرمزية عند مولينو وغيره .

لقد تحدث جورج مونان في كتابه (مدخل إلى السيميولوجيا) عن اتجاهين سيميائيين بارزين؛ أولهما "سيميولوجيا التواصل" ،وثانيهما سماه "سيميولوجيا الدلالة" وقد وقف الرجل عند كل منهما على حدة، معرفا به، وذاكرا أعلامَه البارزين. ويقسم محمد السرغيني الاتجاهات السيميولوجية إلى ثلاثة أنواع رئيسة، هي : الاتجاه الأمريكي؛ ويمثله بيرس بامتياز، والاتجاه الروسي ممَثَّلا في الشكلانية الروسية ومدرسة تارتو، والاتجاه الفرنسي الذي عرف اختلافات جمة وزعته إلى مدارسَ عدةٍ. وخصص الدكتور حنون مبارك الفصل الرابع من كتابه "دروس في السيميائيات" بالحديث عن الاتجاهات السيميولوجية الحديثة، حيث قسمها إلى سبعة اتجاهات بارزة كالتالي: سيميولوجيا سوسير، وسيميولوجيا التواصل، وسيميولوجيا الدلالة، وسيميوطيقا بيرس، ورمزية كاسّيرر Cassirer، وسيميوطيقا الثقافة، والسيميوطيقا ومسألة المرجع. وسنكتفي في هذا المقام بالحديث عن اتجاهاتٍ ثلاثة يبدو أنها أبرزُ الاتجاهات السيميائية وأشهرُها**:**

**01/سيميولوجيا التواصل**:

اتجاه فرض نفسه على الكثير من الباحثين،خاصة أقطاب المدرسة الفرنسية أمثال:إيريك بويسنس ولويس بريتو، وجورج مونان... يستند هذا الاتجاه إلى بعض أفكار"دي سوسير" حول اللغة، التي يقول بشأنها " اللغة نظام من الإشارات التي يعبر بها عن الأفكار"، وهو يقول:" يعبر بها عن أفكار" يحيل إلى أنه يريد أن يجعل من الإشارات فعلا تواصليا مع الآخرين، وبقصد من المتكلم، يأتي أصحاب سيميولوجيا التواصل ليطوروا هذه الآراء ويؤكدوا على أن وظيفة اللغة هي التواصل،" ولا تختص هذه الوظيفة بالألسنية، وإنما توجد أيضا في البنيات السيميائية التي تشكل الأنواع الأخرى غير اللسانية". كما يضعون شرطي "القصدية"، و" التأثير على الغير" من أهم شروط تحقق هذه الوظيفة، وهذا الأخير ضروري عندهم إلى درجة أنهم جعلوا هدف السيميولوجيا الأساسي هو الإبلاغ والتأثير، فبويسنس الذي ينسب إليه ميلاد هذا الاتجاه يرى بأن مهمة السيميولوجيا تتمثل في " دراسة الوسائل المستخدمة للتأثير على الغير والمعترف بها بتلك الصفة من قبل الشخص الذي نتوخى التأثير عليه".

ويرى "بريتو" أن استعمال العلامات هو –وحده- الذي يحدد التواصل؛ بحيث يمكن الحديث عن فعل تواصلي في كل لحظة يحاول فيها مرسِل– وهو في طور إنتاج علامة ما- إمداد مرسَل إليه بأَمَارة أو إشارة معينة ويميز "بريتو" بين أمارات ثلاثٍ كالآتي:

\* الأمارات العفوية: وهي وقائع ذات قصد مغاير للإشارة، تحمل إبلاغا طبيعيا و عفويا،مثل لون السماء الذي ينْبئ –بالنسبة إلى صياد السمك- بحالة البحر في اليوم الموالي.

\*الأمارات العفوية المغلوطة: وهي تخفي الدلالات التواصلية للغة، مثل اللُّكنة التي ينتحلها متكلم ما رغبة منه في إيهامنا بأنه أجنبي

\*الأمارات القصدية: التي تهدف إلى تبليغ إرسالية، مثل إشارات المرور.

02/ **سيميولوجيا الدلالة** :

يمثل هذا الاتجاه ردة فعل على أصحاب سيميولوجيا التواصل، وذلك انطلاقا من أن العلامات تحمل دلالات مختلفة تفهم بطرائق متنوعة، كما أنها تتغير بتغير السياقات والمواقف، ويجمع الباحثون على أن رائد هذا التوجه هو "رولان بارت" الذي يؤكد على أن علم الأدلة يعالج كل الشيفرات التي تمتلك بعدا اجتماعيا، حين يقول: "ومما لا مراء فيه أن الأشياء والصور، و السلوكات قد تدل بل وتدل بغزارة، لكن لا يمكن أن تفعل ذلك بكيفية مستقلة، إذ إن كل نظام دلائلي يمتزج باللغة "

إن أهم ما يميز سيميائيات الدلالة هو تأكيدها على ضرورة التكفل باللغة عند كل دراسة لنظام الدلائل وذلك باعتبارها واقعة اجتماعية، والتعامل معها بهذه الطريقة يعود إلى أن المعنى متغير، ويحمل دلالات مختلفة طبقا للبيئة الاجتماعية التي يتحرك فيها. فعند أصحاب الدلالة لا يمكن أبدا الفصل بين أمارة لا تتوفر على قصدية التواصل، ودلالة تتوفر على ذلك، بل نقول أننا نتعامل مع لغة تتأثر بالطبقة الاجتماعية التي تتكلمها.

كما إنه لا يمكن أبدا التعرف على دلالة إشارة معينة دون الإحاطة بالحيثيات المتعلقة بكل من الباث والمتلقي، وبما يدور في وعيهما ما دام أن الدال الواحد يحمل عدة مدلولات تخضع للطبقات الاجتماعية المختلفة.

إن عناصر سيميائيات الدلالة التي أفاض "بارت" في بحثها، تتوزع على أربع ثنائيات مستقاة من الألسنية البنيوية، هي:

**أ-اللغة والكلام:** إذا كانت الألسنية تميز بين اللغة والكلام وتجعل وجودهما ضروريا لها، فإن السيميولوجيا لا تفرق بينهما. ففي الأولين يستحيل أن توجد لغة بدون أن يوجد لها كلام، وفي الثانية لا بد أن تتعاقب اللغة والكلام من غير أن ينطلقا معا من نفس المنطلق، وقد أعطى "بارت" أمثلة كثيرة على ذلك في كتابه "علم الأدلة"، يقول مثلا عن اللباس:"إنه لا وجود للكلام في اللباس المكتوب الذي تصفه صحيفة من صحف الأزياء بواسطة المتمفصلة، ولا يتوافق هذا اللباس (الموصوف) مع أي تنفيذ أو تأدية فردية لقواعد الموضة، بل هو مجموعة منتظمة من الأدلة والقواعد "، وإذا ما أردنا أن ننقل هذا المثال الذي أورده "بارت" شارحا به نظام اللباس إلى المفهوم اللساني لثنائية اللغة والكلام، فإننا نقول أن هذا اللباس الموصوف من قبل هذه الصحيفة يعد لغة؛ لأنه يحمل صفة الجماعية والاتفاق، في حين أن اللباس هذا لو جسد من طرف الأفراد لفظا وارتداء يعد كلاما.

إن كلا من اللغة والكلام إذا كانا في إطار الألسنية متناسبين حجما، لأن الأولى عبارة عن مجموعة من القواعد يستظل

الثاني بظلها، فإنهما في السيميولوجيا لا يتناسبان في الحجم، حيث إن هناك مسافة كبيرة بين النموذج وبين إنجازه في نظام الثياب، حتى ليكاد يكون لغة بدون كلام.

**ب- الدال والمدلول**: إن الحديث عن الدال والمدلول يقتضي الحديث عن العلامة، على اعتبار أنهما من مكوناتها. وفي هذا المجال، يمكن القول أن هناك علامة لسانية، وأخرى سيميولوجية لا تفهم طبيعة إحداهما إلا بفهم طبيعة الأخرى. إنهما معا مركبتان كنموذجيهما من دال ومدلول، على أن السيميولوجية منها تتميز عن اللسانية بكون دلالتها تنحصر في وظيفتها الاجتماعية، هذه الوظيفة الاجتماعية رهينة الاستعمال، وهذا الاستعمال مشروط بحلول وقته وأوانه، وهذا الوقت والأوان ليسا شيئا غير علامة لهذا الاستعمال. إن المعاطف تلبس وقاية للجسد من البرد ومن الأمطار، أي أنها لا تستعمل إلا حين يحين وقت البرد والشتاء، ومجيء هذا الوقت علامة دالها ومدلولها ارتداء المعاطف. في حين أن العلامة اللسانية توحد بين دالها ومدلولها كما توحد الصفحة بين وجهيها.

يمكن لنا أن نميز بين نوعين للمدلول، أحدهما سيميولوجي والآخر لساني. يتميز اللساني عن السيميولوجي بكونه يجد مصداقيته في علم الدلالة، وفي هذه الحالة، يعبر عنه لغويا أو معجميا بكلمة مفردة. فكلمة الثوب مفردة على المستوى اللغوي، وهي مدلول لما يلبسه الإنسان. أما المدلول السيميولوجي فيجد مصداقيته في غير علم الدلالة، وفي هذه الحالة، يعبر عنه بمجموعة من المترادفات، بأن تدعم دلالته بعناصر وصفية تنسب إليه. فالثوب واحد، ومع ذلك يمكن أن يكون مدلولا لهذه الأوصاف: ناعم، حريري، أملس،...

إن كل ما قيل عن المدلول يمكن أن يقال عن الدال، وذلك لكونهما متشابهان من حيث طبيعة كل منهما، ولكون تعريف أحدهما يرتكز على تعريف الآخر.

**ج – النظام و المركب التعبيري:** يرى "دي سوسير" أن العلاقات الموجودة بين الألفاظ والكلمات تتطور على صعيدين هما: المركّبات والسلسلة الكلامية، حيث أن كل لفظة تستمد قيمتها من تعارضها مع سابقتها ولاحقتها، أما الصعيد الثاني فهو صعيد تداعي الألفاظ خارج الخطاب أو الكلام، وقد توسع "جاكبسون" في هذه المقولة، حتى اعتبره "بارت" فاتح الباب للعبور من الألسنية إلى السيميائية، حين قال: " إن انفتاح جاكبسون على الخطابات التي تسيطر عليها الاستعارة أو المجاز المرسل يفتح الباب من العبور من اللسانيات على علم الأدلة ".(أي العبور من اللغة المنطوقة إلى أنظمة دلالية غير لسانية) ويرى "بارت" أنه في التحليل السيميائي ينبغي الشروع بالتقطيع المركبي، لأنه هو الذي يزودنا بالوحدات التي يجب تصنيفها في الجداول ، ويعطي أمثلة عن هذا، فنظام اللباس يمكن أن نمثله كالتالي:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
|  | النظام | المركب |
| اللباس | فئة من الأثواب والقطع أو التفصيلات التي لا يمكن ارتداؤها ف نفس الموضع من الجسم، في الوقت ذاته، والتي يؤدي التنويع فيها إلى تغيير الملبس: طاقية /قلنسوة/قبعة... | وصف عناصر مختلفة في الملبوس: تنورة، قميص بلوزة، معطف... |

**د- التقرير والإيحــاء:** اقترح أصحاب هذا الاتجاه أن كل دليل له مستويان:مستوى تقريري، وآخر إيحائي، " فالدليل هو دائما إشارة، والمعنى يكون دائما مرافقا للتبليغ، ويكون المعنى التقريري دائما مرافقا للمعنى الإيحائي، وبالتالي تعنى سيميائيات المعاني بدراسة نظام الأدلة التي تستهدف المعاني الإيحائية ".

**03/سيميوطيقا الثقافة:**

هو اتجاه يجمع بين الاتجاهين السابقين، غير أنه يختلف عنهما في بعض الخصائص التي جعلت منه مجالا آخر من مجالات السيميائية، هذا النوع يرتبط أكثر بالجانب التطبيقي، كون "السيميوطيقا" بهذا المصطلح تختص بالجانب التطبيقي في العرف العام، بينما تختص السيميولوجيا بالجانب النظري.

من رواد هذا الاتجاه، نجد في روسيا ( يوري لوتمان و أوسبانسكي و إيفانوف و تودوروف...) وفي إيطاليا ( أمبرتو إيكو وروسي لاندي...)، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن العلامة تتكون من وحدة ثلاثية: المبنى، المدلول، والمرجع، كما أنها تنطلق - وذلك كما يرى مبارك حنون - من اعتبار" الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساقا دلالية، والثقافة عبارة عن إسناد وظيفة الأشياء الطبيعية وتسميتها وتذكرها ".

إن العلماء الذين سبق ذكرهم أسسوا جمعية أطلقوا عليها (جماعة موسكو – تارتو)، وعقدوا مؤتمرا حول " الدراسة البنيوية لأنظمة العلامات"، ومن خلاله بين "إيفانوف" أن الإنسان والحيوان وحتى الآلات تلجأ إلى العلامات، كما قدم مفهوم (النموذج والأنظمة المنمذجة و النمذجة).

إن وصف الأنظمة السيميائية بأنها منمذجة للعالم؛ معناه أنها تضع عناصر العالم الخارجي في شكل تصور ذهني هو نسق أو نموذج، ولذلك يرى "إيفانوف" أنه لا بد من تصنيف أنظمة العلامات في شكل تدرج هرمي، واللغة هي النظام الأول. ويؤكد على أن اللغة الطبيعية هي الأساس والأهم في كل الأنظمة السيميوطيقية، وهذا راجع إلى أهميتها الكبيرة في حفظ وصيانة أفكار وثقافات الشعوب، كما يؤكد على الجانب التوصيلي، فالأنظمة لا تشكل العالم فحسب، بل لها وظيفة أيضا هي نقل المعارف المختلفة، فاللغة عنده لديها أهمية كبيرة إن على الجانب التوصيلي، وإن على الجانب الفكري.

لقد نظر سيميائيو الثقافة إلى أن العلامة لا تكتسب دلالتها إلا من خلال وضعها في إطار الثقافة، لذا نراهم يتكلمون عن أنظمة دالة، أي عن مجموعة من العلامات المتدرجة والمتداخلة، ولا بد من دراسة هذه الأنظمة من مناحي مختلفة، اجتماعية، اقتصادية، سلوكية، وغيرها، لذلك فهم يدرسون العلاقات التي تربط بين الأنظمة المختلفة، كعلاقة الأدب بالبنيات الثقافية الأخرى، كما يحاولون الكشف عن العلاقات التي تربط تجليات الثقافة الواحدة عبر تطورها الزمني، أو بين الثقافات المختلفة.

بالإضافة إلى الاتجاه الروسي المتمثل في جماعة "موسكو- تارتو" نجد اتجاها آخر اهتم بالظواهر الثقافية، وسمي " الاتجاه الإيطالي "، كان من أبرز عناصره "أمبرتو إيكو" ، و" روسي لاندي"، هذا الأخير الذي يرى أن الثقافة لا تنشأ وتتطور إلا بتوفر شروط ثلاثة هي:

* "حينما يسند كائن مفكر وظيفة جديدة للشيء الطبيعي.
* حينما يسعى ذلك الشيء باعتباره يستخدم على شيء ما، ولا يشترط أبدا قول هذه التسمية بصوت مرتفع كما لا يشترط فيها أن تقال للغير.
* حينما نتعرف على ذلك الشيء باعتباره شيئا يستجيب لوظيفة معينة، وباعتباره ذا تسمية محددة، ولا يشترط استعماله مرة ثانية، وإنما يكفي مجرد التعرف عليه."

إن ما يتفق فيه الاتجاه الروسي والاتجاه الإيطالي في التركيز على سيميولوجيا الثقافة هو " أن الظواهر الثقافية ذات مقصدية تواصلية ".

إن أصحاب مدرسة "تارتو" وأصحاب الاتجاه الإيطالي قد شكلوا بحق اتجاها سيميوطقيا خاصا بالثقافة، حمل على عاتقه الكثير من العناصر الثقافية ، ودرسها دراسة سيميوطيقية كانت لها جدارتها ولا زالت، وأهم هذه العناصر: النص، الصورة، الإشهار، ومختلف الفنون الأخرى.

**مدرسة باريس السيميائية:**

هي مدرسة للفكر السيميائي البنوي، أسسها غريماس في بداية ستينيات القرن العشرين. وانتمى إليها بارت حتى العام 1970. ركز غريماس بالدرجة الأولى على تحليل البنى النصية تحليلا دلاليا، لكن مدرسة باريس وسعت التحليل البنوي الصارم الذي اعتمده ليشمل الظواهر الثقافية، كاللغة الإيمائية والخطاب القانوني وعلوم الاجتماع، وهي شكلانية في اعتبارها المنظومات السيميائية مستقلة وعدم معالجتها أهمية السياق الاجتماعي.

**المقياس: سيميولوجيا الدرس :07 المستوى: السنة الثالثة – ل م د -**

**السيميائية وعلم النص:**

**أولا: مفهوم النص:**

**النص لغة :**

لعلّ أبرز ما نتبينه من خلال القراءة السريعة للمعاني المعجمية لمادة (نصّ) التي تعكس استخداما واسعا في حقول متعددة؛ المعاني المحورية الآتية:

-  الرفعة : كقولنا نصَّ الحديث إليه أي رفعه إليه، و قولنا انتصَّ أي ارتفع و انتصب و انقبض.

-  الحركة: كقولنا:نصَّ القدر أي غلت.

-  منتهى الشيء وغايته:كقولنا:ناصَّ غريمه أي استقصى عليه و ناقشه.

-  الإسناد:كقولنا:نصَّ القول إلى صاحبه أي أسنده إليه.

**أما النص في المعجم الفرنسي** (texte)فهو مأخوذ من مادة (textus) اللاتينية التي تعني النسيج،كما تطلق كلمة texte)) على الكتاب المقدس أو كتاب القداس…كما تعني مند العصر الإمبراطوري تـــرابط حكاية أو نص…و النص منظومة عناصر من اللغة أو العلاقات، وهي تشكل مادة مكتوبة أو إنتاجا شفهيا أو كتابيا.

و الذي نلاحظه في المعنى اللغوي لمادة(texte) أنها تدل دلالة صريحة على التماسك و الترابط و التلاحم بين أجزاء النص وذلك من خلال معنى كلمة" النسـيج " التي تؤشر إلى الانسجام و التضام و التماسك بين مكونات الشيء المنسوج ماديا،كما تؤشر معنويا أيضا إلى علاقات الترابط و التماسك من خلال حبك أجزاء الحكاية.

**النص اصطلاحا:**

**النص في الدراسات الغربية:**

**مفهوم النص عند هيلمسليف:**

يستعمل هيلمـسليف مصطلح "النص" بمعنى واسع؛ فيطلقه على أي ملفوظ؛ منفذ؛قديما أو حديثا؛مكتوبا أو محكيا؛طويلا أو قصيرا،فكلمة:قِفْ؛مثلا؛هي في نظر هيلمـسليف نص كامل،كما أنّ جماع المادة اللغوية لرواية بكاملها هي أيضا نص كامل.

**مفهوم النص عند تـودوروف:** في مؤلفه "القاموس الموسوعي لعلوم اللغة"، يرى أن الألسنية تبدأ بحثها بدراسة (الجملة)... ولكن مفهوم (النص) لا يقف على نفس المستوى الذي يقف عليه مفهوم (الجملة)، أو التركيب، و كذلك هو متميز عن الفقرة التي هي وحدة منظمة من عدة جمل.

ويرى تودوروف أيضا أن النص يمكن أن يكون جملة،كما يمكن أن يكون كتابا بكامله،وعليه يحدد النص أساس استقلاليته وانغلاقيته؛ فهو يؤلف نظاما خاصا به،لا يجوز تسويته مع النظام الذي يتم على أساسه تركيب الجمل.

ومستويات تحليل النص عند تودوروف هي:

    1. المستوى اللفظي:و هو مؤلف من العناصر الصوتية؛التي تؤلف جمل النص.

  2. المستوى التركيبي:و يركز على العلاقات بين الوحدات النصية الصغيرة؛أي الجمل و مجموعات الجمل.

    3. المستوى الدلالي:و هو نتاج مُعَقّد توحي به المستويات جميعها،منفردة ومتشابكة.

**مفهوم النص عند رولان بارت:**

النص عند بارت نسيج كلمات منسقة في تأليف معين، بحيث يفرض شكلا وحيدا وثابتا قدر المستطاع، و النص من حيث هو نسيج فهو مرتبط بالكتابة لأنه رسم بالحروف؛ و للنص هالته الروحية كذلك من حيث وحي كلماته.

و الكتابة هي السمة الأساسية للنص عند بارت؛ فالكتابة ضمانة للشيء المكتوب،و صيانة له؛ و ذلك باكتسابه صفة "الاستمرارية"، فالنص من هنا سلاح في وجه الزمان، و النسيان...يقرر بارت في الأخير منظوره للنص في جانبه الشكلي العام؛ أنه نسيج كلمات منسقة.

**مفهوم النص عند كريستيفا:**

تحدد جوليا كريستيفا النص،بأنّه "جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بالربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه، فالنص إذن إنتاجية "

تنطلق كريستيفا من مفهوم التناص في تحديد مفهوم " النص "؛ فالنص " ترحال للنصوص و تداخل نصي،ففي فضاء معين تتقاطع و تتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى "

إنّ النص فضاء ثري؛ يختزن طاقات و معارف كبيرة و متنوعة ومتشابكة، " فالنص الأدبي خطاب يخترق حاليا وجه العلم والأيديولوجيا والسياسة،ويتنطع لمواجهتها، وفتحها وإعادة صهرها"

**مفهوم النص في الدراسات العربية:**

**مفهوم النص عند عبد المالك مرتاض:**

من حيث الشكل؛لا يحدد مرتاض النص من خلال كمّه أي من خلال الجملة أو مجموعة الجمل داخل النص،فهو يرى أنّ النص " لا ينبغي أن يحدد بمفهوم الجملة،و لا بمفهوم الفقرة التي هي وحدة كبرى لمجموعة من الجمل،فقد يتصادف أن تكون جملة واحدة من الكلام نصا قائما بذاته مستقلا بنفسه،و ذلك ممكن الحدوث في التقاليد الأدبية كالأمثال الشعبية و الألغاز والحكم السائرة و الأحاديث النبوية التي تجري مجرى الأحكام وهلم جرا "

أما النص من حيث دلالته؛فهو شبكة معطيات ؛ألسنية و بنيوية و أيديولوجية كلُّها تسهم في إخراج النص إلى حيِّز الفعل و التأثير؛ومن هنا يستند الأستاذ مرتاض على نظرية القراءة في تحديد مفهوم النص الأدبي، " فالنص قائم على التجددية بحكم مقروئيته، و قائم على التعددية بحكم خصوصية عطائيته تبعا لكل حالة يتعرض لها في مجهر القراءة،فالنص من حيث هو ذو قابلية للعطاء المتجدد المتعدد بتعدد تعرضه للقراءة،و لعلّ هـذا ما تطلق عليه جوليا كريستيفا ( إنتاجية النص ) حيث إنه يتخذ من اللغة مجالا للنشاط فتراه يتردد ؟ إلى ما يسبق هذه اللغة محدثا بعدا بين لغة الاستعمال اليومية ـ و هي اللغة المسخرة لتقديم الأشياء والتفاهم بين الناس ـ والحجم الشاعر للفعاليات الدالية؛فتنشط اللغة التي هي الأصل الأدبي في كل مرحلة نشاط هذه اللغة التي هي أصل النص في كل مراحله و مظاهره "()

**مفهوم النص عند نور الدين السد:**

ينطلق السد من رؤية لسانية؛لا تعتمد تقسيم الخطاب إلى خطاب نفعي وآخر فني بل صنّف النص تصنيفا نوعيا،و بذلك أصبح " النص الأدبي "،لا يمثل إلاّ أحد الأنواع النصية العديدة؛ والتي منها النص الديني،والنص القضائي،والنص السياسي، والنص الإشهاري..إلخ.

إنّ القارئ، والسياق، و"وسائل الاتساق"؛ أركــان جوهرية وحاسمة في تمييز النص عن اللانص؛ فمتكلم اللغة العارف بخصائصها هو وحده القادر على أن يحكم بنصية ما تلقاه؛ إما أنه يشكل كـلا مـوحدا، و إما هو جزر من الجمل والتراكيب لا يربطها رابط، لذلك كـان الاتساق ـ اللغوي و غير اللغوي ـ مقوما أساسيا في الحكم على نصية أي نص من عدمها.

**خلاصة:** يمكن القول أنأن للنص تصورين -كما ذكرهما صلاح فضل- فالأول ثابت كونه مجموعة من الأبنية المركبة المتفاعلة بينها القابلة للتحليل وفك الشفرات وإعادة البناء، والتحويل، والثاني متحرك كونه إنتاجية – حسب تعبير كريستيفا- تتفاعل داخله مجموعة نصوص سابقة أو متزامنة له، فهو "حوار فني لممارسات متنوعة" كما يمكن جمع سمات النص الأدبي في خمسة عناصر أوردها أيضا صلاح فضل، إذ للنص سياق ذو أبعاد تاريخية واجتماعية وثقافية تتفاعل فيما بينها متضمنا علاقة مبدعه ومتلقيه به، أما التركيب فيجسد علاقات كلماته المركبة فيما بينها والمشكلة لدلالة معينة تحدد بداية النص ونهايتها، كما أن حجمه غير محدد، إذ قد يكون كلمة أو جملة أو مقطوعة شعرية أو رواية، لكن التحليل الأسلوبي يهتم بتحديد الحجم لتسهيل مهمتهن، واهم ما يجعلنا نلج عالم النص هو العنوان، إذ إنه مفتاح الدلالة، لا يشترط وجوده ولكن غيابه يشكل تحديا للناقد أو المحلل، وأخيرا الخطاب و المقصود به الوسيط بين اللغة والكلام، فالخطاب هو الإنجاز الفعلي للغة، والذي تأتي الكتابة لتثبيته خطيا، لهذا نجد النص اليوم في شكله الصوري مما يسهل تحليله، فالنص يحمل في طياته رسالة مكتوبة حاملة لمدلولات معينة.